

القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى على مدار ستين عاماً:

رصد سوسىولوجى

سماح عبدالله*

مقدمة

تعتبر دراسة القيم الاجتماعية شديدة الخصوصية؛ حيث لا يمكن فهم نشأة وتطور القيم أو تغييرها بمعزل عن المجتمع التى ظهرت فيه، والمرحلة التاريخية والحقة الزمنية التى يعيشها هذا المجتمع، والخصوصية التاريخية والثقافية التى يمتاز بها عن غيره من المجتمعات.

وتقع القيم الاجتماعية ضمن البنية الثقافية للمجتمع، ولا تعد التغيرات فى الأبنية الاجتماعية الاقتصادية مؤشراً على تغير لحظى للقيم الاجتماعية فى مجتمع ما، حيث تأخذ القيم الاجتماعية وقتاً فى التغير، فهى أبطء فى الخطى وأقل سرعة فى عملية الإحلال والتبديل؛ لكنها تكون أكثر حدة وأشد عمقاً.

تتوقف استمرارية قيم معينة فى مجتمع بعينه ومدى انتشارها أو اندثارها على العديد من الآليات المتجذرة فى الأبنية الاجتماعية الاقتصادية السياسية لهذا المجتمع.

وفى المجتمع المصرى؛ توالى العديد من الحقب التاريخية والفترات الزمنية التى أحدثت تغييراً جذرياً فى أبنية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، والتى أثرت على المدى المتوسط والبعيد على منظومة القيم الاجتماعية؛ وبات التغير الكمي والكيفى فيها ملحوظاً على كل المستويات.

وحاولت العديد من الدراسات الأكاديمية الرصينة دراسة شكل منظومة القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى، والتغير الكيفى الذى طرأ عليها فى حقب زمنية مختلفة بغرض الوقوف على القيم المنتشرة- والمندثرة- فى كل حقة. وتهتم الدراسة الحالية بتقديم رصد سوسىولوجى لمنظومة القيم

*أستاذ علم الاجتماع المساعد بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الحادى والستون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٤.

الاجتماعية فى المجتمع المصرى على مدار ستين عاماً (١٩٦٤-٢٠٢٤)؛ وذلك من واقع الدراسات والأوراق البحثية الأكاديمية المنشورة فى المجلة الاجتماعية القومية فى هذه الفترة*، وسوف يتم الرصد فى إطار مقارن قدر الإمكان؛ يسبقه تقديم عرض نظرى سوسولوجى أو إطلالة نظرية عن القيم الاجتماعية، وذلك من خلال عدد من المحاور؛ بحيث تعطى هذه المحاور فى مجملها صورة أو خريطة لشكل القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى فى حقبة تاريخية مختلفة، ومفادها كالتالى:

أولاً: القيم الاجتماعية؛ عرض نظرى سوسولوجى.

ثانياً: القيم الاجتماعية فى حقبة السبعينات والثمانينات.

ثالثاً: القيم الاجتماعية فى حقبة الألفينات.

أولاً: القيم الاجتماعية؛ عرض نظرى سوسولوجى

تعد القيم الاجتماعية مع العادات والتقاليد والآراء والاتجاهات وغيرها الجانب الذاتى للوعى؛ فى حين تمثل الإيديولوجيا الجانب العام له، ويشكل الجانبان معاً جوهر الوعى الاجتماعى^(١).

وتتصف أنساق القيم الاجتماعية- بما تتضمنه من عناصر- بالثبات النسبى مقارنة بغيرها من مكونات التكوين النفسى الاجتماعى للأفراد كالاتجاهات؛ إلا أنها تتغير بالضرورة مع تغير الظروف الاجتماعية التى يعيش فيها الأفراد؛ إذا كانت تلك الأنساق القيمية تعوق مجريات الحياة الطبيعية للأفراد وتؤثر عليها^(٢).

ويمكن رصد القيم من خلال تجسدها فى سلوكيات أو نتائج سلوكيات، ولأنها من مكونات الوعى -فهي تعد انعكاساً لواقع اقتصادى اجتماعى معين، وفترة تاريخية بعينها، ونوعية القيم التى تظهر فى مجتمع ما لصيقة بخصوصية هذا المجتمع؛ لذلك لا يمكن دراستها بعيداً عن شروط الوجود الاجتماعى التى أفرزها^(٣).

* تم استبعاد عروض رسائل الماجستير والدكتوراه الخاصة بالموضوع، كذلك عروض بحوث الدبلومات والتركيز على الأوراق البحثية الأكاديمية.

وفى علم الاجتماع؛ يمكننا الحديث عن عدد كبير من الرؤى الفكرية والتوجهات النظرية التي تناولت موضوع القيم الاجتماعية بالتحليل والتفسير والدراسة المتعمقة، ويسهل على الباحث فى علم الاجتماع رؤية السجال الذى قام بين المدارس المختلفة فى تناول هذه القضية، والمناقشات المستفيضة فى كل ما يخصها، والجدال بين رواد هذه المدارس ودارسيها بعضهم البعض، وهو ما لا يتسع له مجال العرض فى هذه الورقة لأنه ليس من ضمن أهدافها الرئيسية. لذلك سوف نكتفى بعرض رؤية الاتجاهين المثالى والمادى وتناولهما للقيم الاجتماعية بصفتها مثالاً واضحاً لتباين الرؤى والاتجاهات الفكرية فى تناول الموضوع من كل الجوانب من ناحية، ولأن أغلب التوجهات الفكرية خرجت من عباءة إحداهما- أو تأثرت فكرياً بواحد منهما_ من ناحية أخرى.

ذكرنا سابقاً أن القيم الاجتماعية مكون رئيس من مكونات الوعى الاجتماعى، ولقد اختلفت النظرة إلى الوعى- بكل مكوناته- باختلاف الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع، حيث يؤكد الاتجاه المثالى أسبقية الوعى على الوجود الاجتماعى؛ لذا فهو يحدد كل ما عداه داخل المجتمع؛ حيث تحدد مكونات الوعى_ مثل القيم والمعايير وحتى الاتجاهات_ شكل البنية الاجتماعية الاقتصادية فى مجتمع ما، بل وتغيراً فى أبنية المجتمع وشكله وتركيبته، بينما يؤمن الاتجاه المادى بالعكس تماماً؛ حيث تحدد شروط الوجود الاجتماعى_ شكل المجتمع وأبنيته وتركيبته الطبقيّة وغيرها_ نوعية الوعى، لكن هذا لا يعنى أن الوعى تابع سلبى للوجود، بل يعنى أنه يمتاز بنوع من الاستقلالية النسبية فى تطوره، هذه الاستقلالية تسمح له إما أن يتخلف عن تطور الوجود أو يسبقه؛ فالوعى يؤثر فى شروط ومحددات الوجود فى الاتجاه المادى، والوجود يحدد شروط ومحددات الوعى، أى أنها علاقة تأثير وتأثر^(٤).

لقد أدى الاختلاف فى النظرة إلى الوعى الاجتماعى إلى التباين والاختلاف فى النظرة إلى القيم الاجتماعية، وفى كيفية تناولها بالدراسة والتحليل والتفسير.

يدرس الاتجاه المثالى القيم الاجتماعية بدون ربطها بالأبنية الاجتماعية الاقتصادية التى نشأت فيها، وبعيداً عن الحقبة التاريخية التى يحياها المجتمع والفترة الزمنية التى يقع فيها؛ فالقيم الاجتماعية فى الاتجاه المثالى تنصف بالثبات والجبرية لأنها متوافق عليها من كل أفراد المجتمع (الإجماع القيمى) والقيم التى تحظى بالإجماع القيمى تستمر وتظل فى المجتمع بغض النظر عن الحقب الزمنية التى

بمر بها، لأنها تحظى بالقبول بين أفرادها، لذلك فإن محاولة تغييرها شبه مستحيلة، ويقود الخروج على هذه القيم إلى مشكلات اجتماعية عديدة تؤدي إلى تفكك المجتمع وعدم توازنه، وتؤدي على المستوى الأبعد إلى الفوضى الاجتماعية.

يرى أصحاب الاتجاه المثالي أيضاً أن القيم الاجتماعية ليس لها جذور في الأبنية الاجتماعية، لذلك يتجاهل هذا الاتجاه في وصفه للقيم الاجتماعية وفي تحليلها وتفسيرها - التنوع الطبقي وجماعات المصالح، ليؤكد على ثبات القيم، ويرجع أسباب المشكلات الاجتماعية إلى تبنى الأفراد لنسق قيمى غير ملائم^(٥).

يمكن إجمال رؤى الاتجاه المثالى الرئيسة فى تأكيد رواد الاتجاه المثالى فى تناولهم لقضية القيم الاجتماعية على عدد من النقاط المهمة؛ **أولها:** حتمية أن يكون هناك إجماع قيمى يخص المجتمع على القيم السائدة فيه ، وهو ما يؤدي بالتبعية إلى أن القيم ثابتة وحتمية لأنها حازت على الإجماع من أفراد المجتمع، ولأن هناك اتفاقاً حول الماهية والخصائص الخاصة بها، وكون مجموعة من القيم تعتبر إيجابية تهدف لصالح المجتمع، ومجموعة أخرى سلبية تهدف إلى إعاقة عن أداء وظائفه.

ثانيها: أنه على أفراد المجتمع الانصياع للمتعارف عليه من القيم المحددة سلفاً، وإلا سوف يؤدي العكس إلى هدم المجتمع ، لذلك لابد من الضبط الاجتماعى لأفراده.

ثالثها: وهى التى كانت موضع نقد شديد للاتجاه المثالى؛ افتراض أن القيم الاجتماعية واحدة بغض النظر عن الاختلافات الطبقية، والعرقية، والدينية، والقبلية، والجغرافية، والنوعية وغيرهم من التقسيمات التى تؤثر على القيم الاجتماعية، وهو شىء يبعد عن الواقع الملموس الذى يؤكد وبشدة اختلاف القيم بوحدة أو أكثر من التصنيفات السابقة^(٦).

أما الاتجاه المادى؛ فنجد أنه يهتم فى دراسته للقيم الاجتماعية بالمجرى المادى الذى نبعت منه، لذلك فالقيم لدى رواد هذا الاتجاه متغيرة ونسبية، تتأثر بالمرحلة التاريخية التى تظهر فيها، وبالمجتمع الذى تنشأ فيه وتتواجد داخله، وبالطبقات الاجتماعية المسيطرة فيه وغيرها من الميكانيزمات، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن القيم الاجتماعية متغيرة مثل المجتمع التى نشأت داخله^(٧).

إن القيم الاجتماعية- في الاتجاه المادى إذن- تختلف من مجتمع لآخر لأنها لصيقة بخصوصية المجتمع، حيث ترتبط بشكل أبنية المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وعوامل تشكلها.

وتختلف القيم الاجتماعية أيضاً في المجتمع الواحد من حقبة زمنية لأخرى، وفي الحقبة الواحدة تختلف باختلاف الطبقات خاصة التي تتحكم في الاقتصاد أو جماعات المصالح، إذن لدى رواد هذا الاتجاه القيم الاجتماعية نسبية متغيرة من مناح عديدة، وعلى مستويات مختلفة، ولها طابع دينامى وليس استاتيكيًا جامدًا^(٨).

ولأن القيم الاجتماعية في أى مجتمع هي القيم التي تخص الطبقة المسيطرة اقتصاديًا؛ فالقيم لدى أصحاب الاتجاه المادى مفروضة من أعلى لأسفل؛ حيث الطبقة التي تسود اقتصادياً تسود قيمياً، وتتغير القيم بتغير الطبقة إلى تسود في حقبة تاريخية بعينها؛ أى هي متغيرة بتغير الطبقات في كل حقبة تاريخية عن الأخرى.

وعلى الرغم من ذلك؛ ونظراً لأن الطبقات في أى مجتمع لا تعيش منعزلة عن بعضها البعض، وتكون على اتصال يومى، وتتأثر كل منها بالأخرى وتؤثر فيها، فإن الأنساق القيمية لكل طبقة من الطبقات الاجتماعية لا بد أن تحتوى على عناصر من الأنساق القيمية للطبقات الأخرى، لكن الطبقة المسيطرة اقتصادياً- وبالتالي اجتماعياً- تكون لها القدرة على نشر قيمها من خلال تملكها لوسائل الإنتاج ومختلف الأساليب المؤثرة على الوعى^(٩).

وهكذا بحسب الاتجاه المادى؛ فإن القيم نسبية متغيرة ودينامية، لذلك تختلف من مجتمع لآخر، ومن حقبة زمنية لأخرى في المجتمع الواحد، ومن فئة لأخرى، ومن طبقة لأخرى وغيرها، أى أن القيم الاجتماعية تتغير طبقاً لتغير معطيات الواقع الاجتماعى، وعليه قد تأخذ قيم معينة موقع الصدارة في مرحلة تاريخية محددة، ثم تتوارى لصالح حزمة أخرى من القيم وهكذا^(١٠).

وترصد الورقة في المحور الثانى والثالث- إستكمالاً للهدف- رصدًا سوسيولوجيًا صورة أو خريطة لشكل القيم الاجتماعية في المجتمع المصرى في حقبة تاريخية مختلفة هي السبعينات

والثمانينات والألفينات، وذلك من خلال الأوراق الأكاديمية المنشورة في المجلة القومية الاجتماعية في الفترة المذكورة وذلك في إطار مقارنة كلما أمكن.

ثانياً: القيم الاجتماعية في حقبة السبعينات والثمانينات

قامت العديد من الدراسات بدراسة واقع المجتمع المصري في حقبة السبعينات والثمانينات، ورصد التغير الذي لحق بالقيم الاجتماعية بكل تصنيفاتها جراء انتقال المجتمع من مرحلة زمنية أو من فترة تاريخية لأخرى؛ حيث كانت لكل مرحلة قيمها الخاصة التي كانت تسود المجتمع وتأخذ موقع الصدارة فيه والتي توارت أو اندثرت لتحل محلها حزمة أخرى من القيم بانتهاء المرحلة، ودائماً ما تظهر عدد من العوامل التي تساعد على تسريع وتيرة التغير القيمي والمرتبطة بالمرحلة الزمنية التي يعيشها المجتمع.

وأجملت الدراسات في هذا المحور التغيرات القمية التي نجمت عن التغيرات في الأبنية الاجتماعية الاقتصادية السياسية للمجتمع المصري، والتي أفرزتها المرحلة الزمنية والحقبة التاريخية التي عاشها المجتمع المصري في ذلك الوقت، وألقت الضوء على الازدواجية في تبني قيم اجتماعية معينة ونقيضها؛ تلك الازدواجية التي أفرزتها المرحلة في الفكر وفي الوعي.

عبرت الدراسات المعروضة في هذا المحور أيضاً عن اندثار قيم اجتماعية بعينها تخص المرحلة السابقة (الخمسينات والستينات) وظهور قيم جديدة بدلاً منها تخص المرحلة؛ حيث ركزت حقبة السبعينات على التأثير على القيم الخاصة بالمرحلة التي سبقتها، وحاولت استبدال أخرى بها، تتفق مع الواقع الجديد وتدعمه^(١١)، وكان من الملاحظ تراجع حزمة من القيم الاجتماعية مثل قيمة العمل المنتج لتحل محلها قيم الربح السريع والقيم الاستهلاكية، وتراجعت قيم التعليم والثقافة وحلت محلها التفسيرات الغيبية وغير العقلانية^(١٢).

واهتمت الأوراق البحثية المنشورة في المجلة الاجتماعية القومية في السبعينات والثمانينات والتي كانت القيم الاجتماعية في المجتمع المصري موضوعها الرئيس بوحدة من ثلاث قضايا؛ إما اختبار حزمة مختارة من منظومة القيم الاجتماعية وقياس مدى وجودها أو اندثارها في هذه الحقبة، أو دراسة الازدواج القيمي والذي يدل على حيرة الفرد في المجتمع ما بين حمله لقيم من مرحلة زمنية سابقة

(الستينات) ولقيم آنية (السبعينات والثمانينات)، أو أخيراً قياس اتجاهات بعض شرائح المجتمع نحو قيم بعينها تخص المرحلة.

تهتم الدراسة الأولى باختبار حزمة مختارة من منظومة القيم الاجتماعية وقياس مدى وجودها أو اندثارها في مرحلة السبعينات؛ وذلك من خلال قياس درجة التوافق بين قيم المعلم والتلاميذ^(١٣)، على افتراض أن المعلم بوصفه قائداً يؤثر على تلاميذه تأثيراً كبيراً.

هدفت الدراسة إلى اختبار فرضية مؤداها أنه عندما يلجأ المعلم في علاقته بتلاميذه إلى أسلوب التقبل (الدفء والصدقة كما ذكرت الدراسة)؛ فإن ذلك يؤدي إلى زيادة درجة التوافق ونقصان درجة التنافر بين قيمه وقيم تلاميذه، واستخدمت الدراسة عدداً من المقاييس لقياس أسلوب المعلم وقياس القيم، مقاييس تتفق مع هدف الدراسة وتصلح لاختبار فرضيتها الرئيسية.

اختار الباحث في هذه الدراسة عينة من التلاميذ الشباب من الصفوف الثالث الإعدادي، والأول والثاني الثانوي، وقسم القيم المراد اختبارها إلى ست مجموعات؛ وهي القيم النظرية، والاقتصادية، والجمالية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية.

توصلت الدراسة لعدد من النتائج من أهمها، أن الدراسة لم تؤكد صحة الفرض المراد اختباره إلا في قيمة واحدة فقط هي القيم الاجتماعية، وهي المعنية_ حسب تعريف الدراسة لها_ باهتمام الفرد بغيره وميله للتعامل معهم.

كما أكدت النتائج فعالية الأسلوب غير الشخصي (المتمركز حول العمل) في تحقيق بعض الأغراض التربوية.

وتتفق الدراسة الثانية في هذا المحور مع سابقتها في نقطتين؛ أولاهما التناول والنشر في حقبة السبعينات، وثانيتهما الاهتمام بمرحلة الصبا (من سن ١٢:٦)، أي الدخول في بدايات مرحلة التغيير الفسيولوجي والفكري.

تهدف الدراسة إلى اختبار الازدواج في التوجهات القيمية لدى الصبية^(١٤)، باعتبار أن القيم في هذه المرحلة العمرية تصبح منظمة للسلوك وضابطة للأهداف، لأنها محصلة عمليات التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة.

وتختبر الدراسة فرضية مؤداها أن الصبية فى مرحلة التغير البنائى (كما أسماها الباحث) يواجهون عددًا من القيم المتغيرة والسائدة التى يتوحدون بها، لذا تتباين لديهم توجهات القيم فى المواقف الاجتماعية لتوحدهم مع قيم مختلفة.

انتهت الدراسة من خلال النسب الإحصائية التى أظهرتها النتائج إلى استخلاص مهم مؤداه أن ظاهرة الازدواج فى القيم عند كثير من الأبناء وتعدد الحلول المفضلة إزاء المشكلات من نوع واحد؛ مرده وجودهم فى مرحلة الانتقال من مجتمع تقليدى بطئ التغير إلى مجتمع سريع التغير حسب ما ذكر الباحث؛ يحدث فيه إحلال قيم جديدة محل القيم التقليدية، ويتجلى الازدواج فى عدد من المواقف وهى؛ عند وجود مجموعة من القيم والمعتقدات المتشابهة، أو انتشار أنماط سلوك متعارضة، وعندما يسود التشابه والخلط بين المعايير والقيم.

أما الدراسة الثالثة والأخيرة فى هذا المحور فاختصت بحقبة الثمانينات، وانفقت مع سابقتها فى دراستها لمرحلة الانفتاح بما فيها من قيم، واهتمت بقياس اتجاهات الأفراد حول قيم بعينها تخص هذه المرحلة؛ حيث عنيت بقياس اتجاهات بعض شرائح المجتمع المصرى نحو المال العام وعلاقة ذلك بالقيم والانتماء^(١٥).

هدفت الدراسة إلى الإجابة على عدد من الأسئلة الرئيسة وهى؛ هل هناك علاقة بين ارتكاب جرائم الأموال العامة وبين نظام الانفتاح الاقتصادى فى مصر؛ بمعنى ظهور اتجاهات جديدة لبعض شرائح المجتمع فى ظل هذا النظام؟، هل توجد علاقة بين ما طرأ من تغيرات عند بعض شرائح المجتمع وبين جرائم الأموال العامة؟، هل هناك علاقة بين التغيرات التى حدثت فى اتجاهات بعض شرائح المجتمع نحو المال العام وبين مدى الانتماء للمجتمع المصرى؟، هل هناك علاقة بين ارتكاب هذه النوعية من الجرائم والبناء النفسى لمرتكبيها؟.

وشملت العينة أربعين من كل من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، أعضاء الهيئات القضائية، موظفى الكادر العام، الفلاحين ومثلهم من الحرفيين، منحرفى جرائم الأموال العامة.

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج فى مقدمتها إجماع عينة الدراسة على أن القيم السلبية التى لم تكن منتشرة من قبل وأصبحت تحظى بالانتشار فى مرحلة الثمانينات هى الكسب السريع وضعف الانتماء.

إن القيم الإيجابية من وجهة نظر العينة كالطموح والأمانة كانت أعلى تكراراً لها لدى عينة الفلاحين، فى حين كانت قيمة تحمل المسؤولية فى أعلى تكراراتها لدى أعضاء الهيئات القضائية. ظهرت قيمة الكسب السريع فى منظومة القيم السلبية حسب رؤية أفراد العينة بأعلى تكرار لها لدى الحرفيين والمنحرفين، بينما ضعف الانتماء كقيمة سلبية ظهرت ذات دلالة لدى أعضاء الهيئات القضائية وأعضاء هيئة التدريس، وظهرت عدم احترام الآخرين كقيمة سلبية لدى شريحة الموظفين من عينة الدراسة.

لقد تناولت العديد من الكتابات المعنية والدراسات الرصينة التغير القيمي العميق والكيفى الذى طال المجتمع المصرى فى حقبة السبعينات والثمانينات مقارنة بحقبة الخمسينات والستينات. فقد تميزت حقبة الخمسينات بسيادة قيم العدالة الاجتماعية والمساواة، كما ساعد التوسع فى التعليم على إزالة الحواجز الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية، خصوصاً فى ظل مجانية التعليم الجامعي، لكن تغير الحال فى السبعينات والثمانينات، حيث ساعد الانفتاح الاقتصادى على بروز قيم الفردية، كما برزت قنوات أخرى كان لها دور فى إحداث تغيرات على مستوى الطبقات الاجتماعية، فظهرت الشركات والبنوك الخاصة الأجنبية، وهو ما أدى إلى ظهور مؤشرات للتمييز الاجتماعى، حيث زادت طموحات الأفراد واتجهت الأنظار للعمل فى القطاع الخاص والأجنبى، الذى يدر دخلاً أعلى ومكانة أرفع، مما ساعد على ظهور قيم مثل إحلال الولاء محل الكفاءة فى العمل، كما شهدت تلك المرحلة هجرات واسعة إلى دول النفط، مما أدى إلى تراجع قيم الاستقرار وأسهمت الهجرات فى زيادة دخول فئات كثيرة سعت إلى تغيير مراكزها فى السلم الاجتماعى وزيادة حدة الطموح الاستهلاكى، وحرص هؤلاء على إثبات التميز الاجتماعى، مما ساعد على ظهور المَبَاهَاة الاجتماعية والنهم فى اقتناء الغالى والتمين، والتعالى والأنانية^(١٦).

ثالثاً: القيم الاجتماعية فى حقبة الألفينات

ذكرنا فى موضع سابق أن القيم الاجتماعية جزء لا يتجزأ من الوعى الذى يتأثر بدوره بالتغيرات التى تحدث فى كل شروط الوجود ومنها التغير البنائى العميق الذى يحدث فى المجتمع المصرى، وتزامن دخول الألفية مع التطور التكنولوجى السريع والهائل، وبزوع عصر السموات المفتوحة؛ فأصبح الدخول إلى عوالم مغايرة اجتماعياً وثقافياً سهل وممكن لأى شخص، وهو ما كان له تأثير مواز - مع التغيرات البنوية- على منظومة القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى.

وعلى الرغم من أن التغير القيمى بطئ الوتيرة بالقياس بغيره من التغيرات على الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية مثلاً، إلا أنه عادة ما يكون عميقاً ومؤثراً.

لقد أجملت الدراسات فى هذا المحور التغيرات القيمية التى نجمت عن التغيرات فى الأبنية الاجتماعية الاقتصادية السياسية للمجتمع المصرى؛ بالإضافة إلى الثورة التكنولوجية والفضائيات التى كان لها دور رئيس وفعال فى صياغة شكل منظومة القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى فى مرحلة الألفينات، وأوضحت الدراسات المنشورة بالمجلة فى هذه الفترة كيف تتزامن قيم قديمة تقع فى مسار الموروثات القيمية مع قيم حديثة تخص المرحلة بما فيها من ميكانيزمات وآليات جديدة تحض على التغير الكيفى فى القيم، وهو ما سبق وأشرنا إليه فالقيم القديمة لا تندثر كلية بل تتوارى لتصبح فى المقدمة قيماً خاصة بالمرحلة التى يعيشها المجتمع بكل خصوصيتها.

اهتمت الأوراق البحثية المنشورة فى المجلة الاجتماعية القومية فى حقبة الألفينات -والتي كانت القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى موضوعها الرئيس- بوحدة من ثلاث قضايا؛ إما قياس مدى أثر بعض القيم الاجتماعية الإيجابية ومنها قيمة العمل على التنمية، أو دراسة دور منظومة القيم الاجتماعية فى توجيه سلوك الشباب نحو قضايا بعينها مثال المشكلة السكانية، أو أخيراً رصد لشكل القيم الأسرية الخاصة بالمرحلة كما تعكسها عينة من الدراما التلفزيونية المصرية.

تهتم الدراسة الأولى بقيم العمل وعلاقتها بالتنمية الشاملة^(١٧)، وتهدف الدراسة إلى الإجابة على عدد من التساؤلات أهمها؛ إلى أى مدى ترتبط قيم العمل بعملية التنمية؟، وهل هناك علاقة سببية بينهما؟، أم علاقة دينامية تؤثر إحداهما على الأخرى؟.

وأكدت نتائج الدراسة ذات الطابع النظرى تراجع بعض القيم المرتبطة بالعمل والإنتاج، وظهر منظومة قيم استهلاكية مادية مما أدى إلى تغيير نوعى فى القيم التى يتبناها الفرد وظهر تضارب للقيم أو صراع قيمى.

وتوصلت الدراسة إلى حتمية تنمية قدرات الإنسان وقيمه الإيجابية فى سبيل تحقيق تنمية شاملة، وهو الاتجاه الذى سبق وتم الأخذ به فى اليابان والصين وغيرهما، وهى المسئولية التى يجب أن تضطلع بها مؤسسات التنشئة؛ الأسرة والتعليم والإعلام.

وأكدت نتائج الدراسة أيضاً أن بداية الألفية تتطلب التغلب على العديد من السلبيات وإعادة تشكيل القيم والاتجاهات والسلوك، وتنمية الفكر الإبداعي القادر على التغلب على المعوقات بأنواعها من خلال بناء المجتمع العلمى القادر على استيعاب علوم وتكنولوجيا العصر، وتنمية تكنولوجيات جديدة- على حد تعبير الدراسة- تتناسب مع واقع المجتمع المصرى.

وتتفق الدراسة الثانية فى هذا المحور مع سابقتها فى الكشف عن بعض القيم الاجتماعية التى تعوق فاعلية متغيرات اجتماعية مهمة مثل التعليم والخطاب الإعلامى الرصين والواعى وغيرهما، حيث تتناول الدراسة الثانية فى هذا المحور دور منظومة القيم الاجتماعية فى توجيه سلوك الشباب نحو قضايا بعينها مثل المشكلة السكانية^(١٨)، وتهدف الدراسة إلى مناقشة دور منظومات القيم الاجتماعية والموروثات فى تشكيل قناعات الشباب- فى الحضر والريف القبلى والبحرى، وتوحيد سلوكياتهم بشأن قضايا سكانية وإيجابية معينة، شملت عينة الدراسة الشباب من سن ١٨:٣٩.

توصلت الدراسة للعديد من النتائج ومنها؛ بالنسبة إلى الدور السلبى الذى تمارسه منظومة القيم الاجتماعية والثقافية فى توجيه المواقف والسلوكيات الإيجابية لدى بعض الشباب؛ كان الموقف واضحاً فى مجتمع الصعيد بما يجمله من ثقافة فرعية متميزة فيما يخص الزواج والإنجاب وبعض جوانب تنظيم الأسرة.

أكدت نتائج الدراسة أيضاً استمرارية الاعتقاد بأن كثرة الإنجاب مؤشر على الخير ومصدر رزق للأسرة فى الريف بصفة عامة وفى ريف الصعيد بصفة خاصة، وهناك إصرار على إنجاب الذكر وهو

ما وجد بشكل خاص فى ريف الصعيد، ويرجع هذا التفضيل لعدد من المبررات منها العزوة والسند والهبة والعصية والمكانة والمساعدة فى سوق العمل.

وتنتهى الدراسة إلى الفاعلية الواضحة لمنظومة القيم الاجتماعية والموروثات فى تحديد مواقف الشباب وتوجهاتهم وسلوكياتهم الإيجابية، وتؤكد تراجع فاعلية بعض المتغيرات الأخرى من قبيل التعليم وثورة الاتصالات والمعلومات، والخطاب التنويرى والإعلامى فى بعض هذه القضايا.

وتتفق الدراسة الثالثة فى هذا المحور مع الدراسة الثانية فى دراسة ما يتعلق بالقيم الخاصة بالأسرة، لكن ليس فى الواقع الاجتماعى إنما فى الطرح الدرامى.

حاولت الدراسة الثالثة والأخيرة فى هذا المحور رصدًا لشكل القيم الأسرية الخاصة بالمرحلة كما تعكسها عينة من الدراما التلفزيونية المصرية^(١٩)، وانطلقت من فكرة أن القيم نسبية ومتغيرة تتأثر بالمرحلة التاريخية التى يمر بها المجتمع، وبخصوصيته الثقافية، وأن القيم الاجتماعية لا يخلو منها أى مجتمع سواء عربى أو غربى؛ لكن المؤشرات الدالة عليها تختلف باختلاف أبنية المجتمعات؛ وباختلاف السياق الثقافى الخاص بها، فهل الطرح الدرامى للمسلسل عينة الدراسة يلتزم بخصوصية المجتمع المصرى فى طرحه للقيم الأسرية داخل السياق الدرامى.

وهدفت الدراسة إلى التعرف على كيفية عرض مسلسل سابع جار للقيم الأسرية داخل سياقه الدرامى، ومدى اقتراب الطرح من الواقع، والقيم المطروحة خاصة بأى طبقة أو فئة اجتماعية.

وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج من أهمها؛ أن الطرح الدرامى اقترب من الواقع فى القيم الخاصة بعمل المرأة، وأيضاً فى التأكيد على قيم التكافل والتضامن والانتماء العائلى، وابتعد عن الواقع فى طرحه لحلّول تخص قضية تأخر سن الزواج لدى الفتاة، واستباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج.

امتاز الطرح الدرامى للقيم الاجتماعية الخاصة بالطبقة الوسطى المصرية بصفة عامة داخل سياق المسلسل عينة الدراسة بالتباين بين قيم محافظة وقيم متحررة، وكأن شخص العمل الدرامى على متصل أوله محافظ وآخره تحررى.

كما أن السياق الدرامى للمسلسل عينة الدراسة اعتبر القيم المطروحة خاصة بالطبقة الوسطى؛ وذكر ذلك فى أكثر من موضع ضمناً وصراحة؛ لكنه تطرف فى العرض والتناول، وكان يستخدم التعميم فى أحوال كثيرة حيث اعتبر - على سبيل المثال - مؤشرات معينة للقيم الأسرية تخص الطبقة الوسطى ككل على اختلاف شرائحها، وهو ما يبعد بالطرح عن الواقع الاجتماعى المصرى بخصوصية نظامه الطبقي.

لقد أبدت العديد من الكتابات المعنية مخاوفها من تأثير السموات المفتوحة على منظومة القيم فى المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع المصرى بصفة خاصة، ورغم أن الدخول لعصر التكنولوجيا والفضائيات منذ الأفينيات بات أمراً حتمياً على المجتمعات كلها؛ إلا أن زيادة المخاوف من التغيير القيمي الكيفى العميق الذى قد يؤثر تأثيراً كبيراً أيضاً على الشخصية المصرية تصدر المشهد فى العديد من الكتابات.

ويؤكد البعض أن انتشار القنوات الفضائية وتنوع المحتوى الذى تقدمه، واتجاه العديد من الأسر لاقتناء أكثر من جهاز تليفزيون لاستقبال هذه القنوات بحيث تلبى الرغبات المتباينة لأعضاء الأسرة لمشاهدة المحتوى المفضل لكل منهم؛ أدى إلى مزيد من الانعزال بينهم، كما توالى ظهور بعض البرامج التى تبث قيماً غريبة عن المجتمع، إذ تشجع - على سبيل المثال - على انفصال المرأة، فيما يطلق عليه نموذج "المرأة القوية المستقلة" Strong independent woman وربما ساعدت مثل هذه البرامج على زيادة معدلات الطلاق أو العزوف عن الزواج بين الشباب^(٢٠).

بينما ربطت مجموعة من الدراسات المعنية بين التغيير البنيوى الذى شهده المجتمع المصرى بعد ثورة يناير ٢٠١١ وبين ظهور قيم ذات طابع سلبي على السطح مثل عدم احترام الكبير، أو الآخرين بصفة عامة، وانعدام المسؤولية، والاعتماد على الغير، واستخدام العنف اللفظي^(*).

خاتمة

اهتمت الدراسة الحالية بتقديم رصد سوسيولوجى لمنظومة القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى على مدار ستين عاماً (١٩٦٤-٢٠٢٤)؛ وذلك من واقع الدراسات والأوراق البحثية الأكاديمية التى تم نشرها فى المجلة الاجتماعية القومية فى هذه الفترة، وذلك من خلال عدد من المحاور؛ أولاً: تقديم إطلالة

نظرية مبسطة من خلال محور بعنوان القيم الاجتماعية؛ عرض نظري سوسيولوجي، ثم الرصد السوسيولوجي من خلال محورين هما؛ ثانياً: القيم الاجتماعية في حقبة السبعينات والثمانينات، وثالثاً: القيم الاجتماعية في حقبة الألفينات؛ بحيث تبرز هذه المحاور في مجملها صورة أو خريطة لشكل القيم الاجتماعية في المجتمع المصرى في حقبة تاريخية مختلفة.

أكدت الدراسات المعنية بدراسة القيم الاجتماعية في حقبة السبعينات والثمانينات على التغيرات القيمة التي نجمت عن التغيرات في الأبنية الاجتماعية الاقتصادية السياسية للمجتمع المصرى، والتي أفرزتها المرحلة الزمنية والحقبة التاريخية التي عاشها المجتمع المصرى في ذلك الوقت، وألقت الضوء على الازدواجية في تبنى قيم اجتماعية معينة ونقيضها؛ تلك الازدواجية التي أفرزتها المرحلة في الفكر وفى الوعي، في حين اهتمت الدراسات المعنية بدراسة القيم الاجتماعية في حقبة الألفينات بالتغيرات القيمة التي نجمت عن التغيرات في الأبنية الاجتماعية الاقتصادية السياسية للمجتمع المصرى؛ بالإضافة إلى الثورة التكنولوجية والفضائيات التي كان لها دور رئيس وفعال في صياغة شكل منظومة القيم الاجتماعية في المجتمع المصرى، وأوضحت الدراسات سابقة الذكر كيف تتزامن قيم قديمة تقع في مسار الموروثات القيمة مع قيم حديثة تخص المرحلة بما فيها من ميكانيزمات وآليات جديدة تحض على التغير الكيفى في القيمة، وهو ما سبق وأشرنا إليه من أن القيم القديمة لا تندثر كلية بل تتوارى لتصبح في المقدمة قيماً خاصة بالمرحلة التي يعيشها المجتمع بكل خصوصيتها.

وتتفق الدراسات المعروضة في كلا المحورين مع الطرح النظرى الذى يؤكد أن دراسة القيم الاجتماعية شديدة الخصوصية، ولا يمكن فهم نشأتها وتطورها أو تغييرها بمعزل عن المجتمع التي ظهرت فيه، والمرحلة التاريخية والحقبة الزمنية التي يعيشها هذا المجتمع، والخصوصية التاريخية والثقافية التي يمتاز بها عن غيره من المجتمعات، وإن استمرارية قيم بعينها في مجتمع معين ومدى انتشارها أو اندثارها يتوقف على العديد من الآليات المتجذرة في الأبنية الاجتماعية الاقتصادية السياسية لهذا المجتمع، والمجتمع المصرى بمروره بمراحل تاريخية مختلفة، وحقبة زمنية متباينة كان بوتقة لانصهار قيم معينة أو توارىها لصالح منظومة قيمية جديدة تخص المرحلة وتتفق مع خصوصيتها.

المراجع

- ١- سمير نعيم أحمد ، قضايا اجتماعية ، دن ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ص ١٠ : ١١ .
- ٢- المرجع السابق ، ص ١٣ .
- ٣- سماح عبدالله عبدالحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى؛ دراسة للقيم كما تعكسها نماذج من الدراما التلفزيونية المصرية، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، القاهرة ، ٢٠١٣، ص ٢ .
- ٤- سمير نعيم أحمد ، النظرية فى علم الاجتماع ؛ دراسة نقدية، دن ، القاهرة، ط٥، ١٩٩٣، مواضع متفرقة.
- ٥- سماح عبدالله عبدالحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى؛ دراسة للقيم كما تعكسها نماذج من الدراما التلفزيونية المصرية، مرجع سابق، ص ١٠ .
- ٦- سماح عبدالله عبدالحميد، مدخل نظرى للقيم الاجتماعية ، فى القيم الحاكمة للعلاقات الأسرية فى دراما رمضان ٢٠٢٠، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، قيد النشر .
- ٧- سماح عبدالله عبدالحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى؛ دراسة للقيم كما تعكسها نماذج من الدراما التلفزيونية المصرية، مرجع سابق، ص ١٠ .
- ٨- سماح عبدالله عبدالحميد، مدخل نظرى للقيم الاجتماعية، مرجع سابق .
- ٩- سمير نعيم أحمد، قضايا اجتماعية، مرجع سابق، ص ١٤ .
- ١٠- سماح عبدالله عبدالحميد، مدخل نظرى للقيم الاجتماعية، مرجع سابق .
- ١١- سماح عبدالله عبدالحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى؛ دراسة للقيم كما تعكسها نماذج من الدراما التلفزيونية المصرية، مرجع سابق، ص ٤٤ . نقلاً عن سمير نعيم أحمد، قضايا اجتماعية، مرجع سابق، ص ص ٧٥-٨٠ أماكن متفرقة.
- ١٢- أحمد محمد أنور، أنساق القيم الاجتماعية وتأثرها بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية؛ دراسة لحالة مصر فى الستينات والسبعينات، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٤١-٤٢ .

- ١٣- فؤاد أبو حطب، العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، يناير ١٩٧٤، ص ٦١-٧٥.
- ١٤- محمد سعيد فرح، ازدواج توجهات القيم عند الصبية؛ دراسة ميدانية لبعض الصبية، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، يناير ١٩٧٨، ص ٤١-٦٤.
- ١٥- عزة صالح الألفي، اتجاهات بعض شرائح المجتمع المصري نحو المال العام وعلاقة ذلك بالقيم والانتماء، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٥، ص ٩٥-١٢٢.
- ١٦- إيمان مرعى، التغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع المصري، في: <https://acpss.ahram.org.eg/News/17055.aspx>, accessed ١٥-١٢-٢٠٢٣
- ١٧- آمال هلال، قيم العمل والتنمية الشاملة؛ رؤية مستقبلية، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثامن والثلاثون، العدد الثالث، سبتمبر ٢٠٠١، ص ١٠٧-١٣٩.
- ١٨- أحمد حسين، القيم الاجتماعية والمشكلة السكانية؛ تأثير منظومة القيم لدى الشباب المصري في توجهاتهم الإنجابية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الخامس والخمسون، العدد الثالث، سبتمبر ٢٠١٨، ص ٣١-٦٨.
- ١٩- سماح عبدالله عبدالحميد، القيم الأسرية كما تعكسها الدراما التلفزيونية المصرية؛ مسلسل سابع جار نموذجاً، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٥، ص ٨٥-١٠٨.
- ٢٠- إيمان مرعى، التغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع المصري، مرجع سابق، ص ٣.
- (*) يراجع على سبيل المثال لا الحصر:
- نسرين محمد صادق، أزمة القيم في ظل التحولات الاجتماعية السياسية في المجتمع المصري؛ دراسة ميدانية بجامعة المنصورة، حوليات كلية الآداب عين شمس، القاهرة، المجلد السابع والأربعون، أبريل/يونيه ٢٠١٩.
 - محمد جاد المولى، رؤية النخبة المصرية لتأثير الإعلام الجديد على منظومة القيم السائدة في المجتمع خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، المجلة العلمية لبحوث الصحافة، القاهرة، العدد الرابع، ديسمبر ٢٠١٥.